

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه، أما بعد:

فمن المقرر أن اللغة العربية من أقدم اللغات الحية المعاصرة التى عرفها العالم، وهى إحدى اللغات التى تنتظمها مجموعة "اللغات السامية"، ومنها الحبشية والأكدية والآرامية والعبرية والكنعانية، وقد انقرض كثير من هذه اللغات وبقي بعضها حياً مستعملاً حتى الآن.

وقد مرّت لغتنا العربية - منذ نشأتها إلى اليوم - بعدة أطوار، وأثّرت فيها عوامل كثيرة، ولما كانت العناية بلغة الأمة من أوجب المهمات الملقاة على عاتق أبنائها؛ إذ تمثل اللغة هويّة الأمة - كان من الضروري رصد ما حلّ بهذه اللغة من تغير فى دلالات ألفاظها وتراكيبها على مرّ العصور المتتابعة، فضلاً عما جدّ بها من ألفاظ ومصطلحات فى مختلف المراحل، فوضع معجم تاريخى - يرصد حياة هذه اللغة - واجب قومى أولاً، وضرورة علمية ثانياً. فلا غنى للباحثين اللغويين وغيرهم من الوقوف الدقيق على دلالات الألفاظ اللغوية، وما طرأ عليها من تغير، وما كان يراد بها فى كل عصر وفى كل بيئة^(١).

(١) انظر: خطة المعجم التاريخى، د. إحسان النص، د. شاكر الفحام، بحث مقدم فى الدورة الثانية والسبعين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، ص ١.

والمُتأمل للمعاجم العربية يلاحظ أنها اقتصرت على جمع المفردات وتقرير معانيها، واختلاف معانيها باختلاف مبانيها، وهو عمل جليل الفائدة ثابت الأثر منذ وضعه حتى الآن^(١). بيد أن شعراء العرب وأدباءهم وعلماءهم وفلاسفتهم، بل وطبقات المجتمع الأخرى قد حملوا هذه الألفاظ معاني جديدة تعبر عن أغراضهم الحياتية والفنية والعلمية، وعربوا ألفاظاً من لغات أخرى مثل الفارسية واليونانية والهندية احتاجوا إليها عند الاتصال بحضارة الفرس والروم والهند وشعوب أخرى، وحين ترجموا علومهم اطلعوا على ثقافتهم. وبكل أسف لم يدخل كثير من هذه المعاني أو المعربات معاجم اللغة أو مصنفاتها الأخرى، مثل كتب العلوم والمعاجم المتخصصة والمصطلحية من سيبويه وابن سينا والرازي إلى الجبرتي، وظلت متناثرة فيما يتناقل الأدباء والعلماء، تحفظها الأوراق فحسب. فإذا أردت الرجوع إلى تاريخ ما أحدثوه من جديد أعيتك الحيل وعُدَّتْ بغير شيء محقق.

هذه اللغة - بهذه الأوصاف وبهذا التراث وعبر تاريخها الطويل وفي كل مكان وصلت إليه من المحيط إلى الخليج - لا شك في حاجتها إلى معجم تاريخي يكون ديواناً شاملاً لمفرداتها ومعانيها ولأساليب استعمالها وتاريخ ميلاد هذه الألفاظ والأساليب، وكيف تنقلت من مبنى إلى مبنى، ومن معنى إلى معنى حتى وصلت إلينا.

ولن يكون هذا المعجم لهذا فحسب، بل سيكون خزانة لأفكار أهلها ولمشاعرهم، ولما أنجزوه من تقدم علمي، ولما قاموا به من دور في الحياة الإنسانية^(٢). والمُتأمل لحاضرنا يجد أن العربية تتعرض لهجمة شرسة من أعدائها ومن بعض أهلها على حدٍّ سواء تبغى إتيانها من قواعدها، وتتهمها بالعجز

(١) انظر: المعجم التاريخي للغة العربية بين الأمل والعمل، د. محمد حسن عبدالعزيز، بحث مقدم في الدورة الثانية والسبعين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، ص ٢، ٣.

(٢) السابق نفسه.

والقصور عن التعبير عن حياتنا الإنسانية والفكرية، وتستبدل بها غيرها في مؤسساتنا التعليمية والعلمية^(١).

إن هذه الأيام المصيرية في حياة الأمة العربية أكثر الأوقات مناسبة لبداية هذا المشروع العلمى الجليل، لنؤرِّخ لماضيها التليد، ونحيى في وجداننا كل عوامل التحدى والنهوض^(٢).

وسأحاول في هذه المقدمة تناول العناصر التالية باختصار، وهى:

أولاً: أسباب اختيار الموضوع.

ثانياً: أهمية هذه الدراسة.

ثالثاً: الدراسات السابقة والرسائل العلمية ذات الصلة بالدراسة .

رابعاً: صعوبات الدراسة.

خامساً: منهج الدراسة.

سادساً: خطة الدراسة ومحتوياتها.

أولاً: أسباب اختيار الموضوع:

نفهم من التقديم السابق مجموعة من الأسباب التى أدت بالمؤلف إلى اختيار هذا الموضوع، منها ما يأتى:

١ - قدم اللغة العربية وطول مراحلها التاريخية وتوقع تغيرات فى دلالة مفرداتها.

٢ - محاولة الكشف عن التغيرات الدلالية فى اللغة العربية.

٣ - محاولة رصد الألفاظ المستحدثة فى مسيرة اللغة العربية، وخصوصاً بعد ازدهار الحضارة فى العصر العباسى.

(١) على سبيل المثال كتاب : تحيا اللغة العربية ويسقط سيويه، د. شريف الشوباشى، الهيئة العامة للكتاب، ٢٠٠٤م.

(٢) المعجم التاريخى للغة العربية بين الأمل والعمل، ص ٣٠٢.

٤- حاجة اللغة العربية إلى معجم تاريخي مثلها فى ذلك مثل بقية اللغات العالمية.

٥- ربط العربية بالتطورات الحضارية التى مر بها العالم وانعكست آثارها على العربية واستعمالاتها.

ثانياً: أهمية الدراسة:

تأتى أهمية هذه الدراسة من كونها تمثل خطوة عملية على الطريق لبناء المعجم التاريخي وإعداده الذى يُعدّ حلماً لكل العرب والمشتغلين بالعروبة، يقول الأستاذ الدكتور كمال بشر: "ولا يخفى على أى منا أن إصدار معجم تاريخي للغة العربية كان وما زال وسيظل حلماً لكل المشتغلين والمهتمين باللغة العربية على اختلاف جنسياتهم ومشاربهم بل وتخصصاتهم، ولن يتوقف التفكير فى هذا الحلم إلا بإصدار هذا المعجم..."^(١).

ويؤكد هذه الفكرة أيضاً الأستاذ الدكتور محمد حسن عبد العزيز حيث يقول: "قد يقال إن إنجاز المعجم التاريخي للغة العربية يحتاج إلى مئات من العلماء واللغويين، ومئات من المحررين والمراجعين والمحوسبين، ويتطلب جهازاً إدارياً عالى الكفاءة، ويستنفد نفقات ضخمة قد تبلغ بضعة ملايين، وقد يستغرق إنجازها عشرات من السنين. أعلم هذا كله علم اليقين، ولكن لا ينبغي أن يصرفنا ذلك عن الأمل فى إنجازها، وعن شق الطرق إليه"^(٢).

ثالثاً: الدراسات السابقة والرسائل العلمية ذات الصلة بالدراسة:

١- أعمال مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة الذى عُقد فى الدورة الثانية والسبعين سنة ٢٠٠٦م، حول موضوع "المعجم التاريخي للغة العربية". وقد نُشرت هذه الأعمال بالعدد التاسع بعد المئة والعاشر بعد المئة بمجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

(١) حول المعجم التاريخي للغة العربية، د. كمال بشر، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، العدد ١٠٩، مايو ٢٠٠٧م، ص ٢٧.

(٢) المعجم التاريخي للغة العربية بين الأمل والعمل، ص ٤.

٢- كتاب "رحلة في المعجم التاريخي" للدكتور إبراهيم السامرائي صدر عام ١٩٩٩م عن عالم الكتب بالقاهرة، تحدث فيه مؤلفه عن قضايا مختلفة عن المعجم التاريخي من خلال ربطه بالتراث.

٣- وقائع ندوة "المعجم العربى التاريخي: قضايا ووسائل إنجازة" والتي نُشرت في العدين الخامس والسادس من مجلة المعجمية بتونس.

٤- كتاب "المعجم التاريخي للغة العربية: وثائق ونماذج" للأستاذ الدكتور محمد حسن عبد العزيز، طُبع بمكتبة دار السلام بالقاهرة، سنة ٢٠٠٨م، تناول فيه المؤلف قصة المعجم التاريخي منذ بداية التفكير فيه، وضمّنه بعض المقالات والبحوث التي أُلقيت في المجمع عنه، ووضع فيه بعض النماذج لثماني كلمات كشف فيها عن طبيعة التغير الحادث في مبانيها ومعانيها.

٥- كتاب بعنوان: "الاستشهاد في المعجم اللغوى التاريخي" للأستاذ مصطفى محمد صلاح، طُبع بمكتبة عالم الكتب بالقاهرة، سنة ٢٠١٢م، وقد تناول فيه المؤلف صعوبات الاستشهاد في المعجم التاريخي، والاستشهاد في المعاجم الأجنبية، وخصائص الاستشهاد في المعجم التاريخي، وقدم بعض النماذج في الفصل الأخير.

٦- رسالة ماجستير بعنوان: "المهمل والمستعمل من الألفاظ بين العصرين الجاهلي والإسلامي" للباحث أحمد عطية تحت إشراف الأستاذ الدكتور محمد حسن عبد العزيز، واشتملت رسالة الباحث على ثلاثة فصول؛ جاء الفصل الأول بعنوان "الجدور المهمل في اللغة العربية"، وجاء الفصل الثاني بعنوان "عوامل وطُرُق استحداث الألفاظ"، وجاء الفصل الثالث بعنوان "أسباب هجر الألفاظ"^(١).

(١) المهمل والمستعمل من الألفاظ بين العصرين الجاهلي والإسلامي، أحمد عطية، إشراف د. محمد حسن عبد العزيز، رسالة ماجستير مخطوطة بكلية دار العلوم، نوقشت ٢٠١٣م.

٧- رسالة دكتوراه بعنوان "مدونة معجم تاريخي للغة العربية معالجة لغوية حاسوبية" للباحث المعتز بالله السعيد، إشراف أ.د. محمد حسن عبدالعزيز، وأ.د. محسن عبدالرازق رشوان، واشتملت الدراسة على أربعة فصول؛ جاء الفصل الأول للحديث عن المدونات اللغوية وصناعة المعجمات التاريخية، وجاء الفصل الثاني للحديث عن منهج بناء مدونة معجم اللغة العربية التاريخي، من حيث الجمع والتصنيف، وعرض الباحث في الفصل الثالث لتحليل المدونة اللغوية، وجاء الفصل الرابع لعرض منهج بناء معجم اللغة العربية التاريخي في ضوء المدونة، وعرض الباحث في الفصل الخامس نموذجاً معجمياً لمعجم اللغة العربية التاريخي^(١).

ولعل دراستي هذه تكون استكمالاً للدراسات السابقة؛ فقد ركزت الدراسة على فكرة المواد (الجدور) والمداخل في المعجم التاريخي، ووضع تصور مناسب لمنهج المعجم التاريخي في ترتيب مواده ومداخله، وقدمت بعض النماذج العملية على ذلك.

رابعاً: صعوبات الدراسة :

تُعَدُّ هذه الدراسة لبنة صغيرة في طريق بناء المعجم التاريخي، أحاول من خلالها تلمس الخطى في صناعة نماذج أولية للمعجم التاريخي، معتمداً على الله سبحانه وتعالى، ثم على الخبرة البسيطة التي تحصلتها من عملي في صناعة المعجم الكبير في مجمع اللغة العربية منذ ٢٠٠٧/٧/١م، حتى الآن، وكذلك عملي في معاجم المكنز الكبير، والصواب اللغوي، واللغة العربية المعاصرة، مع المرحوم الأستاذ الدكتور أحمد مختار عمر، ضمن فريق عمل ضمَّ عددًا كبيراً من الأساتذة والمدرسين والمدرسين المساعدين والباحثين والمحريين.

(١) مدونة معجم تاريخي للغة العربية معالجة لغوية حاسوبية"، للباحث المعتز بالله السعيد، إشراف أ.د. محمد حسن عبدالعزيز، وأ.د. محسن عبدالرازق رشوان، رسالة دكتوراه مخطوطة بكلية دار العلوم جامعة القاهرة، نوقشت عام ٢٠١٠م.

ورغم هذه الخبرة المتواضعة فإنه قد واجهتني صعوبات جمة في هذه الدراسة لعل أبرزها:

- ١- ندرة التجارب التي عاجلت اللغة العربية تاريخيًا.
- ٢- ندرة المراجع التي كُتبت عن المعجم التاريخي؛ فالمتاح هو بعض البحوث أو المقالات التي كُتبت هنا أو هناك، أو أُلقيت في مجمع اللغة العربية بالقاهرة الذي خصص مؤتمراً كاملاً للمعجم التاريخي، وهو المؤتمر الذي عُقد في الدورة الثانية والسبعين ٢٠ من مارس ٢٠٠٦م.
- ٣- اتساع الفترة الزمنية للغة العربية منذ بدايتها حتى الآن، وقد اخترت مادة الشعر كبداية للانطلاق، باعتبار أن الشعر هو ديوان العرب، وقد أعتمد على النشر كلما أعوزتني الحاجة إلى ذلك.
- ٤- صعوبة تجميع الشواهد من الموسوعات الشعرية الورقية والإلكترونية، خاصة أن كمّ الموروث الشعري يُعد بعشرات الآلاف من الصفحات، وقد استعنت بالموسوعة الشعرية الإلكترونية التي جمعت أكثر من ثلاثة ملايين بيت من الشعر، وكذلك ببرنامج المحلل الصرفي المستعان به في معجم لغة الشعر العربي بمجمع اللغة العربية بالقاهرة.
- ٥- صعوبة التفريق بين المعاني في الأبيات التي جمعتها، خاصة المعاني المتقاربة أو المترادفة.
- ٦- عدم إمكان تحديد تاريخ وفاة بعض الشعراء؛ وذلك لعدم نص المصادر على ذلك.

خامساً: منهج الدراسة:

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج التاريخي، حيث اخترت أربعة جذور، وتتبع معاني المداخل فيها تاريخيًا؛ بهدف تتبع التغير أو التطور الدلالي الذي طرأ على هذه المعاني على فترات متعاقبة. وقد اعتمدت تقسيم اللغة العربية إلى عشرة عصور. (سيرد ذكرها- بإذن الله- لاحقاً في المبحث الأول من الفصل الثالث).

سادساً : خطة الدراسة ومحتوياتها :

جاءت الدراسة في مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول.

أما المقدمة فقد تناولت فيها أسباب اختيار الموضوع، وأهميته، والدراسات السابقة والرسائل العلمية ذات الصلة به، وصعوبات الدراسة، ومنهجها، وأخيراً خططها ومحتوياتها.

أما التمهيد فقد حاولت فيه تعريف المعجم لغة واصطلاحاً، وأنواعه المختلفة بصفة عامة، وتعريف المعجم اللغوي التاريخي، وذكر ما يتصل به بصفة خاصة، وفكرته، ومحاولات تنفيذها، وحاجة العربية إلى معجم تاريخي، وأخيراً عقد موازنة بين المعجم الكبير والمعجم التاريخي.

ثم جاء الفصل الأول تحت عنوان: "المواد والمداخل في المعجم اللغوي التاريخي"، واشتمل على ثلاثة مباحث: الأول: تعريف المواد (الجذور) والمداخل، والثاني: إعداد قائمة أولية بعدد المواد (الجذور) المستعملة في عصور اللغة العربية، والثالث: ترتيب المواد (الجذور) والمداخل في المعجم التاريخي.

ثم جاء الفصل الثاني بعنوان: "المعنى في المعجم اللغوي التاريخي"، واشتمل على ثلاثة مباحث: الأول: طبيعة المعنى المعجمي، والثاني: طرق شرح المعنى المعجمي، والثالث: التغير الدلالي في المعجم اللغوي التاريخي.

ثم جاء الفصل الثالث، وهو جوهر الدراسة، وجاء بعنوان: "المنهج والنماذج"، واشتمل على ثلاثة مباحث: الأول: مصادر المعجم اللغوي التاريخي، مع بيان عصور اللغة العربية"، والثاني: المنهج المقترح للمعجم اللغوي التاريخي، وقد حاولت فيه تقديم تصور مبدئي لمنهج المعجم اللغوي التاريخي، والثالث: النماذج، وقد قمت فيه بإعداد أربعة جذور، محاولاً فيها صنع نماذج عملية للمعجم التاريخي، مع ذكر الشواهد التاريخية على معانيها الحقيقية والمجازية؛ وذلك عبر عصور اللغة العربية المتعاقبة.

ثم جاءت فى النهاية الخاتمة، وفيها أهم النتائج، والتوصيات، يتبعها بعد ذلك ثبت المصادر والمراجع.

وفى النهاية أدعو الله أن أكون قد وُفِّقْتُ فى معالجة الموضوع المعالجة المرضية المحققة للأهداف، فإن كان ذلك قد تحقق فمن الله ومن توفيقه وسداده، وإن كانت الأخرى فمن نفسى ومن جهدى القليل.

وحسبى أنى حاولت واجتهدت، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

* * *

مصطفى يوسف عبدالحى

الجيزة ٨ ربيع الآخر ١٤٣٥هـ

٨ فبراير ٢٠١٤م

البريد الإلكتروني: moustafa_201016@yahoo.com

٠١٠٠٧٨٠٩٧٥٤

الهاتف:

٠١١١٥٥٢٥٧٨٤